العدد 2006 - السنة السابعة
الإثنين 17 محرم 1436 - الموافق 10 نوفمبر 2014
Monday 10 November 2014 - No.2006 - 7th Year

تأثير الوقوف والاضطجاع على الغضب .. إعجاز نبوي

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: لا تغضب فردد مرارا، قال: لا تغضب» صحيح البخاري.

قوله «ليس الشديد بالصرعة» بضم الصاد وفتح الراء: الذي يصرع الناس كثيراً بقوته والهاء للمبالغة بالصفة. قوله «فردّد مراراً» أي ردّد السؤال يلتمس أنفع من ذلك أو أبلغ أو أعم، فلم يزده على ذلك وزاد أحمد وابن حبان في رواية عن رجل لم يُسمَّ قال: تفكرت فيما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله.

قال الخطابي: معنى قوله «لا تغضب» اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه.

وقال ابن بطال في الحديث أن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو لأنه صلى الله عليه وسلم جعل الذي يملك نفسه عند الغضب أعظم الناس قوة، ولعل السائل كان غضوبا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر كل أحد بما هو أولى به، فلهذا اقتصر في وصيته له على ترك الغضب، فللغضب مفاسد كبيرة، ومن عرف هذه المفاسد عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله صلى الله عليه وسلم «لا تغضب» من الحكمة واستجلاب المصلحة في درء المفاسد.

وكما وصف صلى الله عليه وسلم الداء وصف الدواء ففي حديث رواه أحمد وأبو داود وابن حبّان أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إذا غضب أحدكم وهو وقائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع».

فما تأثيرات الغضب على جسم الإنسان؟ وماذا وصف لنا النبي عليه السلام هذا العلاج؟ وكيف يؤثر الوقوف والاضطجاع على الغضب؟

هذه ثلاثة أسئلة للإجابة عليها لابُد أن نتوقف عند الغدّة الكظرية التي تقع فوق الكليتين، ومن وظائف هذه الغدة إفراز هرمون الأدرينالين والنورإدرينالين. فإن كان لديك اضطراب في نظم القلب فلا تغضب، فهرمون الأدرينالين يمارس تأثيره على القلب فيسرع القلب في دقاته، وقد يضطرب نظم القلب ويحيد عن طريقه السوي، ولهذا فإن الانفعال والغضب يسببان اضطراباً في ضربات القلب وكثيراً ما نشاهد من يشكو من الخفقان في القلب حينما يغضب أو ينفعل.

وإن كنت تشكو من ارتفاع في ضغط الدم فلا تغضب: فإن الغضب يرفع مستوى هذين الهرمونين في الدم ما يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم، والرسول صلى الله عليه وسلم يكررها ثلاثا: «لا تغضب» والأطباء ينصحون المرضى المصابين بارتفاع ضغط الدم أن يتجنبوا الانفعالات والغضب. وإن كنت مصاباً بمرض في شرايين القلب فلا تغضب؛ لأنه يزيد من تقلص القلب وحركته، وقد يهيئ ذلك لحدوث أزمة في القلب. وإن كنت مصاباً بالسكري فلا تغضب: فإن الأدرينالين يزيد من سُكّر الدم.

وقد ثبت علمياً أن هذه الهرمونات تنخفض بالاستلقاء كما قال صلى الله عليه وسلم: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» «قبسات من الطب النبوي، باختصار».

الشروط المكتوبة في العقود يجب أن تكون متفقة مع حدود الشريعة

الإسلام يكره أن تداس الفضائل في سوق المنفعة العاجلة

الإسلام يوصي باحترام العقود التي تسجل فيها الالتزامات وغيرها ويأمر بإنفاذ الشروط التي تتضمنها. وفي الحديث: «المسلمون عند شروطهم».

ولا شك في أن انتشار الثقة في ميدان التجارة وفي شتى المعاملات الاقتصادية أساسه افتراض الوفاء في أي تعهد. ويجب أن تكون الشروط المكتوبة متفقة مع حدود الشريعة، وإلا فلا حرمة لها، ولا يكلف المسلم بوفائها. وقد منح الإسلام عقد الزواج مزيدا من الرعاية فقال رسول الله: «إن أحق ما وفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج». ومن ثم فليس يجوز لرجل بني بامرأة أن يفتال درهما من حقها، أو يستخف بالرباط الذي جمعه بها. وفي الحديث: «أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها خدعها فمات ولم يؤد إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زان! وأيما رجل استدان دينا لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه، خدعه حتى أخذ ماله فمات ولم يؤد إليه دينه لقي الله وهو سارق».

ولا غرو فقد تتابعت آيات القرآن تحض على الوفاء وتخوف من الغدر: «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا» وقال تعالى: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون». وقد بين الله عز وجل أن الغدر ينزع الثقة ويثير الفوضى ويمزق الأواصر ويرد الأقوياء ضعافا وأهنين فقال: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون».

إن الرجل قد يحل عقدا أبرمه ينتظر ربحا أوفر من عقد آخر وإن الأمة قد تطرح معاهدة بينها وبين أمة أخرى جريا وراء مصلحة أحظى لديها، والدين يكره أن تداس الفضائل في سوق المنفعة العاجلة ويكره أن تنطوي دخائل الناس على هذه النيات المغشوشة ويوجب الشرف على الفرد والجماعة حتى تصان العقود على الفقر والغنى وعلى النصر والهزيمة. ولذلك يقول الله بعد الأمر الجازم باحترام العهود: «ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون». والوفاء بالحق واجب مع المؤمن بالإسلام ومع الكافر به. فإن الفضيلة لا تتجزأ فيكون المرء خسيسا مع قوم كريما مع آخرين. والمدار على موضوع العهد فما دام خيرا فإقراره حتم مع كل فرد وفي كل حين.

> ■ الدين يوجب ألا تنطوي دخائل الناس على نيات مغشوشة ويوجب الشرف على الفرد والجماعة حتى تُصان العقود
>
> ■ النبي أوصى بالعقد: أيما رجل أمن رجلا على دمه ثم قتله فأنا من القاتل بريء وإن كان المقتول كافراً

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول: «لو دُعيتُ به في الإسلام لأجبتُ». وعن عمرو بن الحمق قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أيما رجل أمن رجلا على دمه ثم قتله فأنا من القاتل بريء وإن كان المقتول كافرا». وهذا البيان الحاسم يكشف عن روح الإسلام في معاملة من لم يدينوا به فبينما ترى اليهود ينكرون على غيرهم حق الوفاء ويضنون عليهم بنبل المعاملة ويحسبون أنهم وحدهم «أبناء الله وأحباؤه» وأن الله جعل رحمته وأمانه لشعب إسرائيل فقط ترى الإسلام يدفع بحمية بالغة عمن منحهم ذمته وأدخلهم في عقده ويتحدث عن الكافرين إلى المسلمين حديثا له مغزاه: «يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان». فانظر كيف صورت الآية وجهة نظر الكفار وتمشت مع مزاعمهم وهم وثنيون فاعتبرتهم طلاب فضل من الله ورضوان وطلبت من المسلمين مهما قووا أن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان؟ وقد تكلمنا في موضوع آخر عن المعاهدات بين المسلمين وغيرهم وعن التعاليم التي أنزل الله بشأنها فليرجع إليه من شاء. ومن الشؤون التي اهتم الإسلام بها وأشاد بقيمة الوفاء فيها الديون فإن سدادها من أكد الحقوق عند الله وقد قطع الدين قطعا عنيفا وساوس الطمع التي تنتاب المدين وتغريه بالمطال أو إرجاء القضاء.

أبوبكر الصديق من أعرف الناس بالله وأخوفهم منه

اتفق أهل السنة على أن أبا بكر أعلم الأمة، وحكى الإجماع على ذلك غير واحد، وسبب تقدمه على كل الصحابة في العلم والفضل ملازمته للنبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فقد كان أدوم اجتماعا به ليلا ونهارًا، وسفرًا وحضرًا، وكان يسمر عند النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد العشاء، يتحدث معه في أمور المسلمين دون غيره من أصحابه، وكان إذا استشار أصحابه أول من يتكلم أبوبكر في الشورى، وربما تكلم غيره وربما لم يتكلم غيره فيعمل برأيه وحده، فإذا خالفه غيره اتبع رأيه دون رأي من يخالفه. وقد استعمله النبي -صلى الله عليه وسلم- على أول حجة حجت من مدينة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعلم المناسك أدق ما في العبادات، ولولا سعة علمه لم يستعمله، وكذلك الصلاة استخلفه عليها ولولا علمه لم يستخلفه، ولم يستخلف غيره لا في حج ولا في صلاة.

وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله أخذه أنس من أبي بكر وهو أصح ما روي فيها، وعليه اعتمد الفقهاء وغيرهم في كتابه ما هو متقدم منسوخ، فدل على أنه أعلم بالسنة الناسخة، ولم يحفظ له قول يخالف فيه نصا، وهذا يدل على غاية البراعة والعلم. وفي الجملة: لا يعرف لأبي بكر مسألة في الشريعة غلط فيها، وقد عرف لغيره مسائل كثيرة. وكان يقضي ويفتي بحضرة النبي -صلى الله عليه وسلم- ويقره، ولم تكن هذه المرتبة لغيره، وقد بينت ذلك في سلب أبي قتادة بحنين. وقد ظهر فضل علمه وتقدمه على غيره بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فإن الأمة لم تختلف في ولايته في مسألة إلا فصلها هو بعلم يبينه لهم وحجة يذكرها لهم من الكتاب والسنة، وذلك لكمال علم الصديق وعدله، ومعرفته بالأدلة التي تزيل النزاع، وكان إذا أمرهم أطاعوه، كما بين لهم موت النبي -صلى الله عليه وسلم- وتثبيتهم على الإيمان، ثم بين لهم موضع دفنه، وبين لهم ميراثه، وبين لهم قتال مانعي الزكاة لما استراب فيه عمر، وبين لهم أن الخلافة في قريش، وتجهيز جيش أسامة، وبين لهم أن عبدًا خيره الله بين الدنيا والآخرة هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه بإذن الله تعالى.

ولقد رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- له رؤيا تدل على علمه؛ فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «رأيت كأني أعطيت قدحا مملوءا لبنا، فشربت منه حتى تملأت، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم، ففضلت منها فضلة، فأعطيتها أبا بكر». قالوا: يا رسول الله، هذا علم أعطاكه الله حتى إذا تملأت منه، فضلت فضلة فأعطيتها أبا بكر، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «قد أصبتم».

وكان الصديق يرى أن الرؤيا حق، وكان يجيد تأويلها، وكان يقول إذا أصبح: من رأى رؤيا صالحة فليحدثنا بها. وكان يقول: لأن يرى رجل مسلم مسبغ الوضوء رؤيا صالحة أحب إلي من كذا وكذا.

ومما عبره -صلى الله عليه وسلم- من الرؤى ما يلي: عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلا أتى رسول الله فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها، فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع، ثم وُصل، فقال أبو بكر: يا رسول الله، بأبي أنت، والله لتدعني فأعبرها، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «اعبرها». قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن، حلاوته تنطف فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيعليك الله، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ رجل آخر فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت، أصبت أم أخطأت؟ قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أصبت بعضا وأخطأت بعضا». قال: فوالله لتحدثني بالذي أخطأت. قال: لا تقسم».

وعن عائشة -رضي الله عنها- أنها رأت كأنه وقع في بيتها ثلاثة أقمار، فقصتها على أبي بكر -وكان من أعبر الناس- فقال: إن صدقت رؤياك ليدفنن في بيتك من خير أهل الأرض ثلاثة، فلما قبض النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «يا عائشة هذا خير أقمارك». فقد كان الصديق أعبر هذه الأمة بعد نبيها. ومع كونه من أعلم الصحابة إلا أنه من أبعد الناس عن التكلف، فعن إبراهيم النخعي قال: قرأ أبوبكر الصديق ﴿وفاكهة وأبا﴾ [عبس: 31]، فقيل: ما الأبّ؟ فقيل: كذا وكذا، فقال أبوبكر: إن هذا لهو التكلف، أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

أتيح للرعيل الأول أكبر قدر من التربية العقدية والروحية والعقلية والأخلاقية

أسلوب النبي في تربية الصحابة حول الخُلق من النظريات إلى صميم الواقع

استخدم المنهاج النبوي أساليب التأثير والاستجابة، والالتزام في تربيته للصحابة، لكي يحول الخلق من دائرة النظريات إلى صميم الواقع التنفيذي والعمل التطبيقي سواء كانت اعتقادية، كمراقبة الله تعالى ورجاء الآخرة، أو عبادية كالشعائر التي تعمل على تربية الضمائر، وصقل الإرادات، وتزكية النفس. ومع تطور الدعوة الإسلامية ووصولها إلى الدولة أصبحت هناك حوافز إلزامية تأتي من خارج النفس متمثلة في:

أ- التشريع:

الذي وضع لحماية القيم الخلقية، كشرائع الحدود والقصاص، التي تحمي الفرد والمجتمع من رذائل البغي على الغير: (بالقتل أو السرقة) وانتهاك الأعراض. (بالزنى، والقذف) أو البغي على النفس وإهدار العقل: (بالخمر، والمسكرات المختلفة).

ب- سلطة المجتمع: التي تقوم على أساس ما أوجبه الله تعالى من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتناصح بين المؤمنين، ومسؤولية بعضهم عن بعض، وقد جعل الله تعالى هذه المسؤولية قرينة الزكاة، والصلاة، وطاعة الله ورسوله: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [التوبة: 71].

بل جعلها المقوم الأصلي لخيرية هذه الأمة: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ» [آل عمران: 110].

وقد ظهرت هذه السلطة وأثرها في الفترة المدنية.

ج- سلطة الدولة:

التي وجب قيامها، وأقيمت على أسس أخلاقية وطيدة، ولزمها أن تقوم على رعاية هذه الأخلاق وبثها في سائر أفرادها ومؤسساتها، وتجعلها من مهام وجودها ومبرراته.

وبذلك اجتمع للخلق الإسلامي أطراف الكمال كلها، وأصبح للمجتمع النبوي نظام واقعي مثالي بسبب الالتزام بالمنهج الرباني.

هذه بعض الخطوط في البناء العقائدي والروحي والأخلاقي في الفترة المكية، ولقد آتت هذه التربية أكلها فقد كان ما ينوف على العشرين من الصحابة الكرام الخمسين الأوائل السابقين إلى الإسلام مارسوا مسؤوليات قيادية بعد توسع الدعوة وانطلاقها في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وبعد وفاته وأصبحوا القادة الكبار للأمة، وعشرون آخرون منهم معظمهم استشهدوا أو ماتوا على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فكان في الرعيل الأول أعظم شخصيات الأمة على الإطلاق، كان فيه تسعة من العشرة المبشرين بالجنة، وهم أفضل الأمة بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومنهم نماذج ساهمت في صناعة الحضارة العظيمة بتضحياتهم الجسيمة، كعمار بن ياسر، وعبدالله بن مسعود، وأبي ذر، وجعفر بن أبي طالب، وغيرهم رضي الله عنهم، وكان من هذا الرعيل أعظم نساء الأمة خديجة رضي الله عنها، ونماذج عالية أخرى، مثل أم الفضل بنت الحارث، وأسماء ذات النطاقين، وأسماء بنت عميس، وغيرهن.

لقد أتيح للرعيل الأول أكبر قدر من التربية العقدية والروحية، والعقلية والأخلاقية.. على يد مربي البشرية الأعظم محمد -صلى الله عليه وسلم-، فكانوا هم حداة الركب، وهداة الأمة، فقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يزكيهم ويربيهم وينقيهم من أوضار الجاهلية، فإذا كان السعيد الذي فاز بفضل الصحبة من رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولو مرة واحدة في حياته وآمن به، فكيف بمن كان الرفيق اليومي له، ويتلقى منه، ويتعبق من نوره، ويتغذى من كلامه ويتربى على عينه.

سنام الجمل يعد مستودعاً للدهون حيث تصل كميتها المخزنة فيه إلى 36 كجم

هذا خلق الله.. «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت»؟

في هذا القسم الجديد نتأمل عظمة الخالق تبارك وتعالى وبديع صنعه وعجائب مخلوقاته، لنزداد إيمانا بالله تعالى ويقينا بعظمة كتابه، إنها عجائب تستحق التفكر..

للجمل قدرة على تحمل ظروف صحراوية قاسية كفيلة بقتل معظم الحيوانات الأخرى، وللجمل سنام أو سنامان تعد مستودعاً للدهون حيث تصل كمية الدهون المخزنة بالسنام الواحد إلى 36 كغم وحين الحاجة يتم أيض هذه الدهون فتنتج الطاقة والماء اللازمين وهكذا يبقى الجمل جلداً لمسافات طويلة من السير تبلغ 161 كم دون شرب ماء! كما أن للجمل القدرة على تكييف درجة حرارة جسده ليلا ونهاراً مع درجة حرارة المحيط الخارجي، فهو بذلك نادر التعرق وهذا ما يجعله قادراً على الاحتفاظ بالماء في جسده حتى بدرجات الصحراء المرتفعة كدرجة 49 درجة مئوية.

أنف الجمل أيضاً مصمم بطريقة تعمل على الاحتفاظ ببخار الماء الموجود بهواء الزفير، ومن ثم إرجاعه إلى سوائل الجسم فيقل بذلك فقد الماء، الكلى والأمعاء أيضا تعملان بكفاءة عالية للاحتفاظ بالماء، وللجمل غطاء سميك يعمل على انعكاس أشعة الشمس الحارة كما يعمل على حمايته من الحرارة المنبعثة من رمال الصحراء الحارة وتعمل قوائمه الطويلة على إبعاد جسده عن الرمال الحارة، إذا اشتد عطش الجمل فإن له القدرة على شرب 135 لترا من الماء في 13 دقيقة فقط!

وللجمل شفاه كبيرة خشنة وفم متين يمكنه ذلك من تناول نباتات الصحراء الشوكية والجافة ويتمتع الجمل بمشية خاصة وأقدام كبيرة غليظة ومستعرضة فلا يغوص في رمال الصحراء برغم وزنه الثقيل مع ما يمكن أن يحمل عليه من أوزان أخرى، للجمل حواجب كثة وصفان من الرموش الطويلة لكل عين وشعر أذن طويل وأنف يغلق بإحكام فلا يتأذى بذلك الجمل برمال الصحراء.

أليس في كل ذلك آيات تنطق بعظيم الخالق تبارك وتعالى وبديع صنعه؟ إن هذه الميزات تدعونا للتفكر في قوله تعالى: «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ × وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ × وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ × وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ × فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ» [الغاشية: 17 – 21].